# سُورَةُ النَّجْمِ
# بَيْنَ التُّراثِ العَرَبِيِّ وَفَهْمِ الْمُسْتَشْرِقينَ

أ.د. عادل عباس النصراوي

جامعة الكوفة/ كلية التربية الأساسية

*Surat Al-Najm Between The Arabian Culture and The Orientalists Understandings*

*Prof. Dr.* Eadil *Abbas Alnasrawi*

*Faculty OF Basic Education University Of Kufa*

# مُلخَّص البحث

تعدُّ سورةُ النجم من السور التي أثارت كثيرًا من الإشكالات منذ نزولها الأوّل على صدر النبي محمد صلى الله عليه وآله في مكة قبل الهجرة المباركة؛ ولعلّ ذلك يرجع إلى أمرين مهمين: هما مدلول الوحي الذي يعني إلقاء المعنى إلى النفس خِفية إلى البشر عن الله تعالى، والثاني: يتعلق بالآلهة التي ذكرتها السورة المباركة وما أُثير حولها من افتراءات فلما سمعت قريش بها فرحوا، وسرّهم ذلك.

هذان الأمران كانا محلَّ إشكال في أثناء نزول السورة المباركة وبعدها وإلى يومنا هذا إذ أخذ المستشرقون يبحثون في الأمرين معًا وقد حاولوا الطعن في القرآن الكريم من خلالهما ولعلّ مسألة الآلهة وما نُسِب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله من حكاية الغرانيق في سورة النجم قد أخذت حيّزًا كبيرًا في دراساتهم وبحوثهم.

الكلمات المفتاحية: سورة النجم، التراث العربي، التفسير، المشرقون.

## Abstract

*Surat Al-Najm is considered one of the surahs that has raised many problems since its first descent on the chest of the Prophet Muhammad (may God bless him and his family) in Makkah before the blessed migration. Perhaps this is due to two important matters namely the significance of the revelation which means throwing the meaning to the soul in secret to humans from God Almighty and the second relates to the god mentioned in the blessed surah and the fabrications that were raised around it.*

*These two matters were in trouble during and after the revelation of the blessed surah and to this day as orientalists began to discuss the two matters together and they tried to challenge the Holy Qur'an through them. Perhaps the issue of the gods and what was attributed to the Prophet Muhammad (may God bless him and his family) from the story of the Cranes in Surat An-Najm may have been It took a large part in their studies and research.*

# مدخل

تعدُّ سورةُ النجم من السور التي أثارت كثيرًا من الإشكاليات منذ نزولها الأول على صدر النبي محمد صلى الله عليه وآله في مكة قبل الهجرة المباركة ولعلّ ذلك يرجع إلى أمرين مهمين:

الأول: في الوحي ومدلوله الذي يعني إلقاء المعنى إلى النفس خِفية حتى صار هذا الإلقاء كالعلم فيما يلقيه الملك إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله من البشر عن الله تعالى ومنه قوله تعالى ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[1] أي ألهمها مراشدها والقوة والقدرة[2].

والأمر الآخر: ما يتعلق بالآلهة التي ذكرتها السورة المباركة في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾[3] وما أُثير حولها من افتراء بأن الشيطان قد ألقى على لسانه صلى الله عليه وآله لّما كان يُحدِّث نفسه ويتمنى أن يأتي به قومه «تلك الغرانيق العلى وإنّ شفاعتهن لتُرتجى» فلما سمعت قريش بذلك فرحوا وسرّهم ما قال النبي محمد صلى الله عليه وآله فأصاخوا له وعندما سجد صلى الله عليه وآله وسجد معه المسلمون تصديقاً له فسجد مَنْ في المسجد من قريش وغيرهم لِما سمعوا من ذِكْرِ آلهتهم[4].

هذان الأمران كانا محلَّ إشكال في أثناء نزول السورة المباركة وبعدها وإلى يومنا هذا إذ أخذ المستشرقون يبحثون في الأمرين معاً وقد حاولوا الطعن في القرآن الكريم من خلالهما ولعلّ مسألة الآلهة وما نُسِب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله من حكاية الغرانيق قد أخذت حيّزًا كبيرًا في دراساتهم وبحوثهم.

(١) سورة النحل، الآية: ٦٨.

(٢) ظ: مجمع البيان/ الطبرسي: م ٥/ ١٣٧.

(٣) سورة النجم، الآيتان: ١٩-٢٠.

(٤) ظ: تاريخ الطبري: ٢/ ٣٣٨. ظ: أسباب النزول، الواحدي: ٢٣٢-٢٣٣.

## عبادات قريش بين التراث العربي والمستشرقين

إنّ المعروف عن عرب ما قبل الإسلام وخاصة منهم من كان يسكن مكة وما حواليها من قريش وخزاعة وغيرهم من القبائل العربية كانت لا تَعُدُّ الأصنام بآلهة لهم في الحقيقة أو أنّ إيمانهم بتلك الأصنام والآلهة محل شَكّ عند أغلب الباحثين إذ كانت الديانة الغالبة عليهم هي ديانة التوحيد ولم تدخلهم عبادة الأصنام إلاّ في عهد زعيم خزاعة في مكة عمر بن لحي إذ (كان لا يظعن من مكة ظاعن إلاّ احتمل معه حجرًا من حجارة الحرم تعظيماً للحرم وصبابة بمكة فحيثما حلّوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة)[١] وكان عمرو بن لحي قد (مَرِض مرضاً شديداً فقيل له: إنّ البلقاء من الشام حَمَّةً أن أتيتها بَرَأْت فأتاهم فاستحمّ بها فبرأ ووجد أهلها يعبدون الأصنام فقال: ما هذه؟ فقالوا نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو فسألهم أن يُعْطوه منها ففعلوا فَقَدِمَ بها مكة ونصبها حول الكعبة)[٢].

ثم توسّعت هذه الأصنام فاتخذت كلُّ قبيلة من القبائل العربية لها صنماً تعبده وتتقرّب إليه ولعلّ أقدمها كلّها (مناة) وكانت العرب تُسمّي «عبد مناة» و«زيد مناة» وكان منصوبًا على ساحل البحر من ناحية المشلَّلِ بقُدَيْد بين مكة والمدينة ولم يكن أحدٌ أشدَّ إعظاماً من الأوس والخزرج ثم اتخذت العرب اللات وهي بالطائف وكانت

(١) كتاب الأصنام، ابن الكلبي: ٦.

(٢) م.ن: ٨.

صخرة مربعة وكان سدنتها من ثقيف وقد أقاموا عليه بناءً وكانت العرب تسمي «زيد اللات» و«تيم اللات» ومكان البيت الآن في موضع مسجد الطائف وفسَّر بعض المستشرقين إقامة المسجد في هذا المكان بأنه تخليد ذكرى الوثنية في نفوس بعض من أسلم لسانه وكفَرَ قلبه[١].

أمّا الصنم الآخر هو العزّى وهو أحدث منهما وبه سمّت العرب عبد العزى وكانت العزى جوار من نحلة الشآمية يُقال حُراضٌ بإزاء الغُمَير عن يمين المُضمِد إلى العراق من مكة[٢] وقد ذكر الله تعالى هذه الأصنام في قوله سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾[٣].

وقد رويت عن هذه الأصنام وغيرها أخبارٌ كثيرة مفصّلة في أسمائها وأماكنها وسدنتها وعقيدة الناس بها وما يُقدّم لها من نذور وقلائد وغير ذلك[٤].

وذهب المستشرقون إلى أنَّ هذه الآلهة المذكورة في القرآن الكريم هي نسخ مستنسخة من آلهة أخرى وقد ربطوها بالكواكب وبعض النجوم وسمّوها (بنات الله)[٥] بدلالة أنثوية، ولعلّ الشفاعة التي منها تُرتجى متأصلة في أنها كانت السبب في إنجاب الأطفال وأنّ هذه البنات الثلاث - بحسب زعم المستشرقين - كانت مساوية للمعبود الأب وهو الله تعالى شأنه[٦] غير أنها لا تخرج عن قدرة الأب أو حدود قدرته وقوته لذا كانت تدور حوله كالنجوم يقول الباحثان كبيث ميسي وكيفن ميسي: (من المسلَّم عموماً أن

(١) ظ: المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي: ٦/ ٩.

(٢) ظ: الأصنام، ابن الكلبي: ١٥-١٨. ظ: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٤/ ٢٥٣. ظ: المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي: ٦/ ٢٢٧-٢٥٠.

(٣) سورة النجم، الآيتان: ١٩-٢٠.

(٤) وللمزيد ارجع إلى المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي: ٦/ ٢٢٧-٢٨٩.

(٥) ظ: مفهوم الله أنداده عند العرب قبل الإسلام، موضوع (هويات بنات الله) - كبيث ميسي وكيفن ميسي: ٢٠٦.

(٦) ظ: م.ن: ٢١٨.

اللات هو الاسم المدغم من «إل – إلآت» حيث تبدو الآلهة مثل اللات كأنها النسخة النسائية من الله سواء كزوجة أو كبديل عنه وكذلك تتراوح التعريفات من القمر إلى الشمس أما اسم مناة الذي يعني غالباً «المصير» فمن المرجَّح أنّه يرتبط مع مفهوم القدر وقد تمَّ ربط العزّى – الجبار – بكوكب فينوس)[1].

يعزو بعضهم هذه الآلهة إلى شعوب أخرى منها داخل جزيرة العرب ومنها خارجها أي أنها آلهة مستوردة إلى العرب لكنّ العرب قد اتخذوها آلهة لهم لتقرِّبهم إلى الله، أو أنها تكون الواسطة بين الله تعالى والناس إذ لم تكن القبائل مشركة إشراكاً بحتاً إذ تقول نجمة سيّوطي: (إن الأصنام كانت مجرد وسيلة لجعلهم أقرب إلى الله ولكنهم كانوا في الواقع مشركين لأنهم مع قبولهم واعتراضهم بوجود وسيادة الله إلاّ أنهم ربطوا آلهتهم معه وجعلوها خاضعة له)[2] وهذا مصداق لقوله تعالى حيث يقول: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[3] بمعنى أنّ الآلهة نفسها تقربهم إلى الله تعالى وعاملوها معاملة العاقل أي أنّ العبادة ليست هي التي تقرّبهم إلى الله وهنا فرق بين المعنيين وهذا يأخذ بنا إلى القول إنهم كانوا يرون أنها تنفع وتضر وهذا يوحي إلى أنهم ما كانوا يعتقدون بها كآلهة على وجه الحقيقة وإنما هي الوسيلة بينهم وبين الله تعالى.

هذه الرؤية اتجاه الآية المباركة السابقة توصلنا إلى نتيجة أنّ هذه الآلهة والأصنام من الأمم الأخرى إذ ترى إبكار السقّاف أنّ مُناة ربةٌ دخيلة ربوبية وقد عرِفتَ في الدين البابلي وأما اللات ففي اسمها رجع الصدى المصري والبابلي ووردت في سجلات التفكير الديني، المصري وأما العُزّى فهي مصرية صرفة وقد عرفتها مصر القديمة باسم إيزي أو إيزيس[4].

(١) مفهوم الله وأنداده عند العرب قبل الإسلام، موضوع (هويات بنات الله) – كبيث ميسي وكيفن ميسي: ٢٠٦.

(٢) الألوهية والقبائل، نجمة سيّوطي: ١٠٥.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣.

(٤) ظ: الدين في شبه الجزيرة العربية، إبكار السقّاف: ٢٩–٣٠.

نستنتج من هذا أنّ الخلاف الذي كان قائماً بين النبي محمد صلى الله عليه وآله وقريش أو أنّ مقاومة قريش للدعوة الإسلامية كانت بسبب مخاوف قريش من أن تفقد الزعامة العامة على القبائل العربية في الجزيرة إذ كانت قريش آنذاك تمثل الفكر الذي يقود الجزيرة العربية وأنهم لم يكونوا جهلاء بل كانوا أهل فكر قيادي استطاعوا أن يُرَوِّضوا القبائل العربية الأخرى في بلاد العرب فانقادت لهم واتّبعتهم لذا عندما تمَّ للنبي محمد صلى الله عليه وآله فتح مكة ودخول قريش في الإسلام سارعت باقي القبائل العربية بوفودها على النبي محمد صلى الله عليه وآله لإعلان إسلامها وولائها للدين الجديد.

وممّا يُبرز قوة قريش وهيمنتها وسطوتها العربية بكلّ الاتجاهات نوع الخطاب القرآني، فنصٌّ بمستوى القرآن الكريم يهبط من السماء وتكون قريش هي المُخَاطَب الأول به يعني أنها كانت بمستوى ذلك الخطاب بعقلها وتفكيرها وجدلها وقوة حججها حتى قال تعالى لنبيه الكريم: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِشَيۡءٌ﴾[1] وكذلك: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾[2] فذلك دليل على قوتها وفهمها وأما ما نُسب لها من الجاهلية فذلك يقصد به ضد الحلم وليس خلاف العلم والفهم.

وعودًا على بدء أنّ هذه الأصنام المذكورة وغيرها لم يَعُد لها ذلك التأثير الكبير على فكر العرب وديانتهم فقد كان فيهم الموحدون والنصّارى واليهود والدهريون وغيرها من الديانات الأخرى؛ ولعلَّ ظهورَ أثر لبعض الأديان السماوية واردٌ في النصّ القرآني وذلك أنها تصدرُ عن منبع واحد فلا ضير في ذلك، غير أنّ ذلك استغله غير واحد للطعن في القرآن الكريم في أنّ الرسول صلى الله عليه وآله قد أخذ ما في القرآن من رجال الدين المسيحي أو أحبار اليهود دالين بذلك على أن القرآن الكريم من تأليف النبي محمد

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٨٢.

صلى الله عليه وآله وهذا ما لا تقبله المؤسسة الإسلامية بأيّ حالٍ من الأحوال بل هو كتابٌ منزلٌ من الله تعالى.

لقد ذهب أكثر من مستشرق إلى أنّ القرآن فيه نبض نصراني قال المستشرق ديرمنغم: (مما لا مراء فيه أنّ محمداً دعا قومه إلى التوحيد وجاءهم بكتاب عربي ملائم لما في التوراة والزبور والإنجيل مستشهداً في الغالب بما في هذه الكتب المنزلة كما لو كان نصرانياً... ومما لا مراء فيه أيضاً أنْ كان للنصرانية أثرٌ في محمد)[1] في حين كان يعدّ المستشرق باريت أن تأثر الرسول محمد صلى الله عليه وآله بالنصّرانية قد أدخل الأمة العربية – الإسلامية في ضمن أمم الرسالات السماوية قال باريت: (وباعتباره رسول الله إلى العرب فأنّ محمداً كان في وعيه أنّه يكرّر ويثبّت المضامين الأساسية للرسالة اليهودية والمسيحية وبذلك فإنّ الأمة العربية – الإسلامية دخلت شريكاً وندّاً ضمن الأمم والجماعات التي بُعِث إليها نبيّون من قبل)[2].

## فرية الآيات الشيطانية أو الغرانيق العُلى

مثّلتْ فرية الآيات الشيطانية في التراث العربي وفهم المستشرقين حالة نقاشية طويلة منذ كتابة أول تفسير أو كتاب تاريخ غير أنّ هناك من اعترض عليها أو أصَّل وقوعها وربما كان لورودها بصيغ متعددة قد أوحى لبعضهم أنها من المفتريات وأن الرسول صلى الله عليه وآله لم يقلها ولا يمكن أن يقولها أبداً إذ لم تُوْرد هذه الفرية ابتداءً إلاّ عن طريق الواقدي (ت ٢٠٧هـ) وتاريخ الطبري (المتوفى سنة٣١٠هـ)[3] وقد استلمها المستشرقون وعدّها أغلبهم من المسلَّمات التاريخية والوقائع الحقيقية من دون أن يقدموا دليلاً على قولهم وربما كان موقفهم اعتماداً منهم على الرواية العربية القديمة

(١) حياة محمد، ديرمنغم: ١٢٤.

(٢) محمد والقرآن، رودي باريت: ١٤٨.

(٣) تاريخ الطبري: ٢/ ٣٣٨-٣٤١.

إذ يرى المستشرق مونتيغمري واط أنّ الآيات الشيطانية حقيقية واقعة حين قال: (فأنّنا سنجد على الأقلّ حقيقتين مؤكدتين: أولاهما: أنه حدث ذات مرة أن قرأ محمد صلى الله عليه وآله هذه الآيات الشيطانية علناً باعتبارها جزءاً من القرآن الكريم ونظن أنّ هذه القصة لم يخترعها مسلمون متأخرون زمناً ولا نظن أنّ غير المسلمين قد أقحموها في التاريخ الإسلامي وثانيهما أنه من المؤكد أنّ محمداً صلى الله عليه وآله قد أعلن بعد ذلك أنّ هذه الآيات الشيطانية ليست من القرآن الكريم وأنّ آيات أخرى قد حلّت محلها تحمل مضموناً مختلفاً تماماً)[1] إشارة منه إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾[2].

ثم يعلل مونتغمري واط رأيه في الآيات الشيطانية ويؤكده هو أنّ النبي محمدًا صلى الله عليه وآله لم يدرك المضمون الوثني لآيات الغرانيق وذلك أنّ التوحيدَ الذي يؤمن به غامضٌ لذا لم يدرك المضمون الوثني لها وكذلك يرى أن هذه الآلهة المتمثلة باللات والعزى ومناة كانت موجودات أو أربابًا لها قدسية لذا جاءت على لسانه وهي – بزعمه – لم تَعد نتيجة لذلك تراجعاً عن التوحيد وإنما هي كانت مناورة وتكتيكاً من النبي صلى الله عليه وآله استعمله لجذب قريش نحو دينه لأنّ الذي اتبعه كان أغلبهم من الفقراء والعبيد والمساكين وقد ارتدَّ بعضهم لذا كان يرى التقرّب إلى زعماء قريش وساداتهم يجعله قريباً من قبول الدعوة لدى عامة الناس[3] ثم يعلّل سبب تراجع النبي صلى الله عليه وآله عن مقولة الغرانيق وإلغائها هو اختلاف الرسول صلى الله عليه وآله مع زعماء مكة[4] ورفضه للعروض المقدمة له كي يترك الدعوة ولعلّ للعامل الاقتصادي أثراً في ذلك أيضاً إذ إنهم عرضوا عليه ما يمكنهم إعطاءه من الأموال وغيرها لكنه رفض كلّ

(١) محمد في مكة، مونتيغمري واط: ٢٠٧-٢٠٩.

(٢) سورة النجم/ الآية: ٢٣.

(٣) ظ: محمد في مكة، مونتغمري واط: ٢١٤-٢١٥.

(٤) ظ: م.ن: ٢١٩.

ذلك وهذا مما دفع – مثلاً – أهل الطائف إلى معارضته ومحاربته أشد المحاربة.

وقد ذهب المستشرق السير وليم موبير إلى أن آيات الغرانيق حقيقة واقعة وعدّها من المسلَّمات في التاريخ واستدل عليها بأنه لم يكن يمضي على هجرة المهاجرين الأُوَل إلى الحبشة أكثر من ثلاثة أشهر يوم صالح محمدٌ قريشاً مغادراً إلى مكة) إذ كان لابُدَّ لمحمد أن يَتذرَّع بشيء لمصالحة قريش والتقرّب إليها وهو الشيء قصة الغرانيق لأنه كان ضعيفاً لا يقوى على مواجهة قريش[١].

ولم يغادر هذا الموقف من حكاية الغرانيق المستشرق الألماني كارل بروكلمان إذ كان يرى أنّ الايمان بالتوحيد الذي دخل قلب محمد صلى الله عليه وآله وعمره قد تجلّى له في المقابل فراغ الآلهة الأخرى لذا توصل إلى أنه صلى الله عليه وآله (على ما يظهر اعترف في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنوه يعتبرونها بنات الله)[٢] ولكن الرسول صلى الله عليه وآله – بحسب زعمه – قد أنكر هذا التحوّل وعاد وتبرّأ منه في اليوم التالي[٣] وغيرها من آراء المستشرقين التي رأت صحة هذه الفرية.

غير أنّ هناك من المستشرقين مَنْ أنكر وقوع مثل هذه الحكاية إذ أخرج الباحثان كيث ميسي وكيفن ميسي بعد أن يوردا أسطورة الكوثرات الثلاث التي تعود إلى حاكم يُدعى (دانيال) التي وجدت في آثار مدينة «رأس شمرا» في الشمال السوري في (ملحمة أفهات) أن دانيال أراد ابناً وريثاً فدعا ربه وصلّى لأجل ذلك لكن صلاته لم تُلبَّ على الفور وبدلاً من ذلك ظهرت في منزله مجموعة من الآلهة الإناث التي تُدعى الكوثرات[٤].

ثم دخلت هذه الكوثرات الثلاث لتحلَّ عند العرب بصيغة الآلهة الثلاث (اللات

(١) ظ: محمد في مكة، مونتغمري واط: ٢١٠ (الهامش).

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان: ٣٤.

(٣) ظ: م.ن: ٣٥.

(٤) مفهوم الله وأنداده عند العرب قبل الإسلام، موضوع: هويات بنات الله: ٢٠٨.

والعزى ومناة) التي يُطلب الشفاعة لأجل الإنجاب لكن الباحثين يرون أن «عبارة بنات الله» هي عبارة غير قرآنية بل كانوا مساوين للمعبود الأول[١] ومن ثم خرج الباحثان بنتيجة مفادها أن صورة الآلهة الثلاث المقدمة في سورة النجم لا تنسجم مع الأدلة الهزيلة التي حصلوا عليها من النقوش العربية قبل الإسلام أي أن قضية الكوثرات الثلاث لا يمكن عدّها أصلاً لهذه الآلهة في سورة النجم لفقدان الانسجام بين صورة هذه الآلهة في القرآن مع ما جاء من الأساطير المذكورة كالكوثرات[٢] وهذا مما يوحي إلى أن قضية شفاعة هذه الآلهة محض افتراء ولا أساس لها من الصحة في إشارة إلى نفي هذه الفرية.

وقد ردَّ محمد حسنين هيكل على هذه الفرية ومن قال بها أو دعا إليها من المستشرقين في كتابه (حياة محمد) وعلَّل تهافت هذه الفرية وما تمخّض عنها من أحداث كرجوع مهاجري الحبشة في الهجرة الأولى ورغبة النبي محمد صلى الله عليه وآله في إقامة الصلح مع قريش وأكد أنّ رجوع المهاجرين من الحبشة كان بسبب من قيام ثورة ضد النجاشي لأنه ناصر المسلمين ولم يكن بسبب من الصلح المزعوم وكذلك بسبب من إسلام عمر بن الخطاب الذي عزّز قوة الإسلام فضلاً عن أسباب أخرى[٣].

وأرى أنه يمكن ردّ هذه الفرية بما يأتي:

أرادت قريش أن تُوهم مَنْ أسلم من قريش وكذلك مَنْ لم يسلم أن محمداً صلى الله عليه وآله قد تراجع عن دعوته إلى دين التوحيد وآل إلى ما كانت عليه قريش من عبادة الأصنام فقام ابن الزبعرى ومن تبعه من المستهزئين بافتعال هذه الحكاية ويؤيد هذا الأمر ما رواه الطبري عن الضحاك فقد نقل الشيخ محمد طاهر العاشور ما ذُكرَ في شرح الطيبي على «الكشاف» نقلاً عن بعض المؤرخين: أن كلمة «الغرانيق» من مفتريات

(١) ظ: مفهوم الله وأنداده عند العرب قبل الإسلام، موضوع: هويات بنات الله: ٢١٦.

(٢) ظ: م.ن: ٢١٨.

(٣) ظ: حياة محمد، محمد حسنين هيكل: ١٢٣.

ابن الزبعرى وما يؤيدها ما رواه الطبري عن الضحاك ثم يقول: إن هذه القصة من اختلافات المستهزئين من سفهاء الأحلام بمكة مثل ابن الزبعرى[١].

إن سورة النجم نزلت بعد سورة (الإخلاص)[٢] وهذه السورة تدعو إلى التوحيد الخالص لله فكيف ينقضها بما جاء بعدها من سورة النجم ولو حصل منه ذلك لشنّعت عليه قريش.

اختلاط هذه الحكاية بتلبية قريش قال ابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ) (وكانت قريش تطوف في الكعبة وتقول: واللات والعزّى ومناة الثالثة والأخرى فأنّهُنَّ الغرانيقُ العُلى وإن شفاعتهُنَّ لتُرتجى)[٣] فقد سحب واضعُ هذه الفرية الآيات الشيطانيةِ من تلبية قريش عند طوافهم حول الكعبة وضمّنها سورة النجم بوصفها عبارات قد تعوّد عليها الطوافون من قريش.

لم يكن للنبي محمد صلى الله عليه وآله القدرة على المصالحة مع أقوياء قريش وذلك أنّ أصحابه كانوا في موقع الضعيف ولعلّ ما جاء من دعاء النبي محمد صلى الله عليه وآله بعد أن آذاه سفهاء ثقيف عندما وجّهوا له عبيدهم ورجعوا عنه عمد إلى ظلِّ جَبَلَةِ[٤] فلما اطمأنّ قال: «اللهم إليك أشكو ضَعْفَ قوتي وقلّة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنتَ ربُّ المستَضْعَفين وأنت ربيّ إلى مَنْ تُكِلْني ! إلى بعيدٍ يتجهَّمني أو إلى عدوّ ملَّكتُهُ أمري...»[٥].

إن حديث رجوع مهاجري الحبشة لم يكن بسبب من حديث الصلح المدَّعى بل كان بسبب من وقوع ثورة ضد النجاشي في الحبشة وهذا الأمر دفع المسلمين إلى الخروج من الحبشة لأنهم غرباء وكان النجاشي سندهم فيها ولعلّ ما ذكره محمد بن إسحاق

(١) ظ: التحرير والتنوير، محمد طاهر العاشور: ١٧/ ٣٠٤.
(٢) ظ: الكشاف، الزمخشري: ٤/ ٤١٦. التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي: ٢/ ٣١٦.
(٣) كتاب الأصنام، ابن الكلبي: ١٩.
(٤) الجَبَلَة: الكَزمة من العنب.
(٥) تاريخ الطبري: ٢/ ٣٤٥.

(ت١٤٨هـ) ما يؤيد ذلك قال ابن هشام: (يروي محمد بن إسحاق عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي: إنّك فارقت ديننا وخرجوا عليه فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهَيَّأ لهم سُفناً وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم؟ فإنْ هُزِمْتُ فاذهبوا حيث تلحقوا بحيث شئتم وإن ظفرتُ فاثبتوا ثم خرج إليهم فجادلهم في الأمر فانصرفوا عنه)[١].

لا تنطبق حكاية الغرانيق مع معنى قوله سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[٢] فكلامه مُسَدَّدٌ من الله تعالى ولم يُعرف عنه الكذب نُقِل عن عبدالله بن عمر (ت٧٣هـ) أنه قال: (كنتُ أكتبُ كَلَّ شيءٍ أسمعه من رسول الله – صلى الله عليه وآله – أريد حفظه فنهتني قريش فقالوا إنّك تكتب كلَّ شيء تسمعه من رسول الله – صلى الله عليه وآله – ورسول الله – صلّى الله عليه وآله – بشر يتكلم في الغضب فأمْسَكْتُ عن الكتاب فذكرتُ ذلك لرسول الله – صلى الله عليه وآله – فقال: «لا اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرجَ منّي إلاّ الحق»)[٣].

كان العرب يأتون السجود ويعدّونه دناءة فعندما جاء وفد ثقيف ليعلن إسلام هذه القبيلة في السنة التاسعة من الهجرة النبوية طلبوا منه مطالب عدّة منها (أن يُعفيهم من الصلاة وأن يكسروا أوثانهم بأيديهم فقال رسول الله: «أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه وأما الصلاة فلا خير في دينٍ لا صلاة فيه»؛ فقالوا: يا محمد أما هذه فسنؤتيكها وإن كانت دناءة)[٤] فكيف تسجد قريش وبعض كبارها مع النبي والمسلمين في الكعبة وقريش كانت في أوج عزّها وكبريائها أي أن السجود يتناقض مع ما هم قد تعوّدوا عليه.

فضلاً عن كُلِّ ما تقدّم أن هذه الحكاية قد نقضها علماء من نحو الفخر الرازي

(١) سيرة النبوة، ابن هشام: ١، ٣٦٥. ظ: نهاية الإرب في فنون العرب، النويري: ٦/ ١٧٨.
(٢) سورة النجم، الآيتان: ٣-٤.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٤/ ٢٤٧.
(٤) تاريخ الطبري: ٣/ ٩٩.

والقاضي عياض وابن العربي وعدّوا هذا الزعم من أقبح ما يتصوّره متصوِّرٌ في اختصاص الله تعالى لأنبيائه.

### أثر السريانية في ثقافة المجتمع العربي قبل الإسلام عند المستشرقين:

لمّا كانت الديانة النصّرانية قد انتشرت في المجتمع العربي وخاصة على أطراف الجزيرة العربية وبلاد الشام أدّىَ ذلك إلى نشر الثقافة السريانية لأن الدين المسيحي يُتَعبَّد به من خلال تلك اللغة لذلك ذهب المستشرقون إلى القول إنّ الثقافة السريانية كان لها كبير أثر في توجيه عقلية المجتمع العربي عامة ولما كانت الدعوة الإسلامية قد انبعثت من رحم هذا المجتمع وخاصة مكة المكرمة التي تحتضن الكعبة المشرفة فأن ذلك كان مدعاة لقول المستشرقين أن القرآن الكريم ما هو إلاّ دعوة نصرانية بمفرداته وألفاظه لذا ذهب بعضهم إلى ضرورة دراسة اللغات السامية في الجزيرة العربية من خلال النقوش والآثار ومن المتكلمين بها لأجل معرفة تفسير القرآن الكريم ولعلّ دعوة المستشرق الألماني كريستوفر لوكسمبورغ[1] كان أحد هؤلاء المستشرقين الذين نادوا بضرورة مراجعة اللغة السريانية – الآرامية لتفسير القرآن الكريم لأنه يرى في هذه المفردات أثرًا من تلك اللغة وعليه يجب فهم النصّ القرآني من خلالها لذا سأركّز هنا على فهم سورة النجم من خلال قراءة لوكسمبرغ.

ينطلق المستشرق الألماني كريستوفر لوكسمبوغ من فهمه للقرآن من خلال البيئة

(١) كريستوفر لوكسمبورغ هو الاسم المستعار لعالم اللغات واللسانيات جورجي كنعان لبناني الأصل يعيش بألمانيا ألّف كتابه (قراءة آرامية – سريانية للقرآن) الصادر عن دار الكتاب العربي – برلين – ٢٠٠٠م وقد ضمّنه فكرته في تفسير ألفاظ القرآن الكريم من خلال اللغة الآرامية – السريانية وكانت أفكاره مصدر إلهام لكثير من الكتّاب المسلمين وعلى ضوء أفكاره تأسس معهد إنارة بألمانيا وهو من عائلة مسيحية نذرت نفسها لخدمة المسيحية درس على يديه السيد وليد البعاج في لبنان في منطقة جونية وخصص وقتاً له في جامعة الكسليك ودوّن أفكاره عنده. ظ: الأسطورة المسيحية للراهب بحيرا في النصّوص العربية والسريانية/ وليد البعاج: ١٢-١٣ هامش ٨.

التي نزل فيها القرآن الكريم بوصفها عاملاً مؤثراً في نشأة النصّ القرآني بقيمها المعرفية وآثارها العلمية والدينية السابقة على نزوله وكانت الجزيرة العربية قبل الإسلام بيئة سريانية – بحسب زعمه – إذ يقول: (إنّ نص القرآن وهو أول كتاب تأسس في لغة الأدب لا يمكن فهمه ضمن محيطه التاريخي إلاّ إذا أخذنا بعين الاعتبار اللغة الأدبية المهيمنة في تلك الفترة وفي ذلك الوسط)[١] إذ كان يعدّ اللغة السريانية آنذاك لغة الأدب في عموم الجزيرة العربية وذلك اعتماداً منه على ما جاء في وصف المستشرق الاسترالي آرثر جفري في كتابه (the Foreigh Vocabuiary of the Quran) للبيئة العربية وأثر اللغة السريانية واحتلالها المكانة الرئيسة في مجمل المفردات القرآنية التي نُسِبت – بزعمهم – إلى لغات أجنبية[٢] وهذا الزعم حدا ببعض المستشرقين إلى القول إنّ القرآن الكريم في لغته مدين إلى اللغة السريانية فهو – أي القرآن – (أقرب إلى النصرانية)[٣] بمعنى أنَّ هناك ألفاظاً سريانية يعجُّ بها القرآن الكريم.

ويرى المستشرق ايميل ديرمنغم أنّ الأثر السرياني إنما كان مصدره من الثقافة العربية العامة ومن ثم تأثّر النبي محمد صلى الله عليه وآله بها وأنّ ظهور ذلك الأثر في النصّ القرآني يعزوه إلى عوامل كثيرة منها[٤]:

اتصال الرسول صلى الله عليه وآله بنصارى مكة من نحو ورقة بن نوفل فضلاً عن ذلك كان الرسول صلى الله عليه وآله قد تعرّف على كثير من النصّارى بمكة كالموالي والأحباش والروم والأقباط وكان عددٌ منهم يعملون في بيوتات قريش منهم ماشطة خديجة زوج النبي صلى الله عليه وآله كانت حبشية نصرانية وكان زيد بن حارثة من

(١) سورة النجم/ قرءاة سريانية – آرامية جديدة: المقدمة/ موقع الحوار المتمدن http://www.ahewar.org / وبعد هذا عندما أشير إلى سورة النجم بدراسة لوكسمبورغ فهو ما وردَ في موقع الحوار المتمدن أعلاه.

(٢) ظ: م.ن: المقدمة.

(٣) حياة محمد، دير منغم: ١٤٠.

(٤) ظ: م.ن: ١٢٥-١٢٦.

قبيلة كلب النصّرانية وغيرهم.

تنصّرَ عددٌ من المهاجرين إلى الحبشة من المسلمين منهم زوج أم حبيبة التي تزوّجها من بعده رسول الله صلى الله عليه وآله كذلك كان زوج سودة قد تنصّر أيضاً.

كان كثير من كنائس النصّارى تحيطُ بجزيرة العرب فضلاً عن تديّن بعض القبائل العربية بالنصّرانية.

كان عددٌ من الشعراء الجاهليين يدينون بالنصّرانية منهم طرفة بن العبد، والنابغة الذبياني، وعدي بن زيد العبادي.

كان عملاء بني أسد من الغساسنة يقيمون في مكة وكان أكثرهم من النصّارى.

ولهذه الأسباب وجد إميل درمنغم أنّ للنصرانية أثراً كبيراً على عامة العرب وعلى مجتمع مكة بالخصوص وهذا ممّا دفع به إلى هذا الزعم.

لكننا لا نتفق مع ما جاء به هذا المستشرق وذلك أنَّ العرب رغم نصرانية بعضهم إلاّ أنهم لا يتنازلون عن هُويتهم العربية مهما كلّف ذلك لا بل أنّ شعراء الجاهلية من مختلف القبائل العربية كانوا عندما يأتون لأسواق مكة من نحو سوق عكاظ أو سوق مجاز يأتون وهم محمّلون بأجمل ما تجود به لغتهم من شعرٍ جميل يتبارون به مع الشعراء الآخرين بحضور حكماء من نحو النابغة الذبياني وغيره إذ لا تدفعهم نصرانيةٌ ولا يهوديةٌ إلى التخلّي عن عربيتهم فإذا كان الجانب الديني قد أثّر في عقيدتهم إلاّ أنّ ذلك لا يحرفهم عن لغتهم فذلك يُعَدَّ عيباً عندهم بل يجدون في بروز شاعرٍ من بين أبناء القبيلة مدعاة إلى الاحتفال به وإقامة الولائم والمسابقات ابتهاجاً بهذه المناسبة.

فضلاً عن ذلك نجد كثيراً من الشعراء والشخصيات المهمة في بعض القبائل النصّرانية قد أبدعوا في الشعر وغير مبالين بما هم عليه من دين أو مذهب أو ثقافة فالعربي يَعُدُّ انتماءَه القبلي والنَسَبي فوق الانتماء الديني فمثلاً كان قسمٌ من قبيلة طي

يُدين بالنصّرانية وقد وردَ أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد رأى عديَ بن حاتم الطائي وفي عنقه صليب من ذهب[١] لأنه كان على النصرّانية وكان لحاتم شعر جميل لم تخالطه سريانية ولا غيرها من اللغات السامية الأخرى منه قوله لامرأته ماوية[٢]:

أمـاويَّ إنّ المـالَ غـادٍ ورائـحُ ... ويبقى من المـالِ الأحاديـثُ والذكرُ

وَقـدْ عَلِـمَ الأقـوامُ لـو أنّ حاتمـاً ... أرادَ ثـراءَ المـالِ كان لَـهُ وَفْـرُ

ومنهمُ بنو امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم كانوا نصارى وظهر فيهم الشاعر عدي بن زيد العبادي؛ إذ يقول[٣]:

طـال ليـلي وطـار عنّـي نعـاسي ... مـن همـومٍ طَرَقْـنَ شَـيْنَ راسي

أحدقـت بي فـما تـزول وحَلَّـتْ ... في ضمـير الفـؤادِ منهـا المـراسي

وقال فيهم الشاعر طخيم بن أبي الطخماء الأسدي يمدحهم[٤]:

وإني وإن كانـوا نصـارى أحبهـم ... ويرتـاحُ قلبـي نحوهـم ويتـوقُ

وقال فيهم أيضاً ذو الرمة[٥]:

ولكن أصـل امـرئ القيـس معشرٌ ... يحـلُّ لهـم أكلَ الخنازيـر والخمـرِ

يريد أنهم نصارى في الأصل فهم يحلّون لأنفسهم أكل لحم الخنزير وشرب الخمر[٦].

فنجد أنّ هؤلاء الشعراء وغيرهم وإن كانوا نصارى فانّهم يخلطون بين المسيحية والوثنية وكذلك أفراد قبائلهم كما هو الحال في بني امرئ القيس من تميم إذ كانت تميم ممن أُخِذَ



(١) ظ: لسان العرب: وثن.

(٢) لباب الأدب، الثعالبي: ١١٧.

(٣) ظ: الدر الفريد وبيت القصيد، المستعصمي: ٤/ ٤٩٣.

(٤) ظ: الكامل في اللغة والأدب، المبرد: ١/ ٤٩٣.

(٥) ظ: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي: ٦/ ٥٨٦.

(٦) ظ: م.ن.

عنهم اللسان العربي[١].

ونستدلُ من هذا أنّ أثر النصّرانية لم يكن قوياً في نفوسهم لذا عندما واجه النبي محمد صلى الله عليه وآله المعارضة لم تكن معارضة النصّارى قوية كقوة المشركين في مكة واليهود في المدينة فذلك يعود كما قال د. طه حسين إلى: (أنّ البيئة التي ظهر فيها النبي لم تكن بيئة نصرانية إنما كانت وثنية في مكة يهودية في المدينة ولو ظهر النبي في الحيرة أو في نجران للقي من نصارى هاتين المدينتين مثلما لقي من مشركي مكة ويهود المدينة)[٢] لكن لابُدّ من القول إنّ النصّرانية قد وجدت لها سبيلاً بين القبائل العربية وخاصة ما كانت منها في عرب الشام وعرب بادية الشام أو العراق فدخلت بيت سليخ والغساسنة وتغلب وتنوخ ولخم وإياد قال اليعقوبي: (وأما مَنْ تنصّر من أحياء العرب فقومٌ من قريش من بني أسد بن عبد العزى منهم عثمان بن حويرث بن أسد بن عبد العزى وورقة بن نوفل ومن اليمن: طيء ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسان ولخم)[٣].

لكننا لم نجد للسريانية في شعرهم من أثرٍ ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى أنّ هذه الديانة دخلت إلى العرب بعد دخول الروم واتخاذهم النصّرانية ديناً رسمياً للدولة إذ كانت واجبات الروم السعي إلى تنصير الشعوب الخاضعة لها لا تقرّباً إلى الله تعالى بل لتمكين سلطانهم عليها[٤] لذلك لم يكن تأثير النصرّانية في نفوسهم عميقاً وهذا مما قلّل من أثر اللغة السريانية أو الآرامية التي كُتِب فيها الإنجيل فضلاً عن عدم استساغة العربي غير لغته فأنه كان شديَد التمسك بها والانتماء إليها وخاصة ما كان منهم في قلب الجزيرة العربية.

لذا لم يُعثر على نصوصٍ مكتوبة أو منقوشة بتلك اللغة من قبل نصارى العرب إلاّ قليلاً

(١) ظ: المزهر، السيوطي: ١/ ٢١١.

(٢) في الشعر الجاهلي، د. طه حسين: ٢١٨.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ١/ ٢٢٠.

(٤) ظ: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي: ٦/ ٩٩٠.

بينما أورد الدكتور جواد علي نصوصًا أخرى ذكر أنها وصلت إلينا مكتوبة باللهجة العربية التي نزل بها القرآن الكريم وهذه قريبة العهد من ميلاد رسول الله صلى الله عليه وآله[٥].

ومن نافلة القول إنّ الموالي من الروم والحبشة لم يكن لهم تأثير في نقل اللغة السريانية أو غيرها وذلك أنّ كثيراً منهم ممّن كانت ألسنتهم لم تتروض بَعْدُ على نطق العربية فكانوا يرطنون بها أو يتلعثمون ومنهم مَنْ كان لا يعرف منها شيئاً أو لا يعرف منها إلاّ القليل من الكلمات[٦] وهذا الأمر يأنف منه العربي المتمسك بعربيته بل كان يرى اللعثمة واللكنة ممّا يعابُ عليه إذا ظهرت على لسانه لذا كان شديد الحرص على سلامة لغته وعدم تأثره بهؤلاء.

لذلك نجد من شعراء ما قبل الإسلام وحتى الذين تنصر منهم لم يكن في شعرهم أثرٌ من لغة الإنجيل أو تراتيل النصّارى بل كانت لغتهم غاية في الجمال والإتقان ومنهم مثلاً الشاعر امرؤ القيس الذي وَصِف بأنه أشعر الشعراء[٧] لجودة قوله الشعر ومنهم أيضاً النابغة الذبياني فقد كانت تُنصَب له قبة حمراء من أدم ليحكم بين الشعراء في عكاظ[٨] فضلًا عن طرفة بن العبد وعدي بن زيد العبادي وغيرهم.

إذن مما تقدّم يوضح أنّ البيئة العربية رغم انتشار النصّرانية فيها إلاّ أنّ لغتها لم تتأثر بالآرامية أو السريانية التي كُتِب بها الإنجيل ولعلّ ما جاء من شعر لأولئك خير دليل على ما ذهبنا إليه.

## العلاقة بين العربية والسريانية:

تشير الأحجار المنقوشة التي عُثِر عليها إلى أن اللغة العربية هي أحدث عهداً من

(٥) ظ: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي: ٦/ ٥٩٤.
(٦) ظ: م. ن: ٦/ ٦٠٣.
(٧) ظ: الشعر والشعراء، ابن قتيبة: ١/ ٨٢.
(٨) ظ: م.ن: ٣٣٢.

باقي اللغات السامية ولعلّ القرن الأول قبل الميلاد كان زمن ظهور هذه الأحجار المكتوبة ببعض اللهجات العربية وخاصة الجنوبية منها في حين يسجل الآثاريون قدماً على العربية في اللغات السامية الأخرى كالآرامية والسريانية.

تشترك هذه اللغات مع بعضها بوشائج كثيرة وخصائص ومميزات تجدها ظاهرة في النطق والدلالة وقد ذكر المستشرق الألماني نولدكه حين قال: (ومن هذه الخصائص كثرة الأصول الثلاثية... ووجود الزمنيين الرئيسين لحدود الفعل وتغير الدلالة لتغير حركات الكلمات الداخلية وفيما عدا ذلك نجد المشابهة في بناء الموازين الاسمية والفعلية وكذلك اتفاق صيغ الضمائر وطريقة استعمالها... وأخيراً كثرة المفردات المشتركة بين هذه اللغات)[1] وهذا ممّا يدعو بعض المستشرقين إلى أن يعد هذه اللغات المشتركة مع بعضها في بعض الصفات والمميزات على أنها لهجات إذ أنها لم تنفصل عنها انفصالاً تاماً بفعل وجود المشتركات بينها يقول المستشرق الألماني بروكلمان: (فاللغات التي ظهرت لنا في العصور التاريخية في صور لغات مستقلة لم تكن إلاّ لهجات للغة واحدة... ومن الطبيعي إن تلك اللهجات - تماماً كاللغات فيما بعد - لم ينفصل بعضها عن بعض انفصالاً صارماً)[2] وهذا ما تنبّه إليه من قبل ابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ) وكان يعزو بعض الاختلاف إلى تبديل الألفاظ بسبب من طول الزمن يقول: (فمَن تدبَّر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها من نحو ما ذكرناه من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان ومجاورة الأمم وأنها لغة واحدة في الأصل)[3] ولعلّ من هذه المفردات التي اختلف النطق بها لفظ الجلالة (الله) في العربية وأما في اللغات (الأوجارتية إل هـ م إ ل هـ ت: إله إلهة؛ العبرية إ ل وه إ ل وه ي م: الله إله؛ الآرامية والسريانية إ ل ه ا؛ السبئية

(١) اللغات السامية، نولدكه: ٩-١٠.

(٢) فقه اللغات اللغات السامية، بروكلمان: ١٤.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم: ١/ ٣١.

إ ل هـ: إله)[1] وكذلك لفظة (طهر) الدالة على النقاء والصفاء في (الأوجارتية ط هـ ر: طَهُرَ صفا؛ العبرية ط هـ ر: الآرامية ط هَـ ر ا: النقاء الطهارة؛ السبئية ط هـ ر: الطهارة الدينية؛ الشحرية طِ هِـ ر: بمعناه؛ الحبشية طَ هَـ رَ: صفا تطهَّر)[2].

وهكذا غيرهما من الألفاظ التي اختلف فيها النطق اختلافاً يسيراً أو تطورت بعض معانيها عن المعنى السامي الأصل فذلك أمرٌ طبيعي نتيجة المخالطة للأقوام الأخرى أو تباعد أبناء القبيلة الواحدة أو المجموعة البشرية المتجانسة عن بعضها فولد كلّ ذلك الاختلاف بينها فهذه اللغات لا تنفصل بعيداً عن اللغة الأم.

لكنّ اللغة العربية خلافاً لأكثر اللغات السامية بقيت محتفظة بكثير من جذور السامية الأم واستطاعت أن تطور نفسها من خلال القياس والاشتقاق لعدد كبير من الصيغ التي تبدو لأول وهلة كأنها صيغ قديمة الأصل لشدة بساطتها ولكنها كما يقول بنيامين حداد: (ليست في الواقع إلاّ تحويراً للأصل)[3].

وهذا ممّا أكسبها قابلية النمو والتطور على طول عصور وجود اللغة حتى ظهرت العربية على أخواتها اللغات السامية الأخرى يقول حداد: (هناك إحصائية معجمية تقول: إنّ عدد الأصول اللغوية التي تقوم عليها اللغة السريانية يبلغ ١٨٠٦ أصلاً لغوياً في حين أنّ عدد الأصول اللغوية في العربية ٧٢١٠ أصلاً لغوياً أي بفارق ٥٤١٤ أصلاً لغوياً كان المفروض أن يحويها المعجم السرياني أيضاً أسوة بمعجم اللغة العربية)[4].

لذا دعا غير واحد من السريان إلى متابعة المعجم العربي والاستفادة من المادة اللغوية التي يضمها كي يرفد منه المعجم السرياني قال د. يوسف قوزي في توليد المصطلحات في

(١) القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم، د. خالد اسماعيل: مادة (ا ل هـ): ٢٢.

(٢) م.ن: مادة (طهر): ٣٣٠.

(٣) الميزان، بنيامين حداد: ٢٣.

(٤) وقائع ندوة (الوشائج بين السريانية والعربية): ٧-٨.

لغتهم السريانية ولأجل أن يحيوها: (أن يقتفوا في ذلك أثر العرب ويستعينوا بجذورها اللغوية الأصيلة أولاً من أجل توليد المصطلح)[١].

لذا تعد العربية من أغنى لغات السامية على الإطلاق باعتراف متكلمي السريانية وغيرها ففي محضر ذكر اللغات قدّم المطران اقليمس يوسف داوود اللغةَ العربية على غيرها من أخواتها الساميات فقال: (... وإنّما ذكرنا العربية أولاً بين اللغات السامية لأن العربية باعتراف جميع المحققين هي أشرف اللغات السامية من حيث هي لغة وأقدمهن وأغناهن ومعرفتها لازمة لكلّ من يُريد أن يُتقن حُسناً معرفة اللغات السامية ولاسيما السريانية)[٢] أي أنّ اللغة العربية على وفق ما يراه المطران يوسف داوود تمثّل له المرجع في فهم اللغة السريانية ودراستها وغيرها من اللغات السامية الأخرى لغناها وسعتها وقابلية تطورها ونموها بما فيها من قابليات في ذلك فهي خزين لكثير من الجذور والمصادر لتلك اللغات إذ يرى بنيامين حداد افتقاراً في اللغة السريانية وغنى في العربية إذ توجد ألفاظ مشتقة بالعشرات ترد في المعجم السرياني يتيمة لا وجود لأصولها الأولى في حين نلقى تلك الأصول في المعجم العربي فضلاً عن وجود أفعال رباعية لا يجدوا لها أصولاً ثلاثية في حين يلقى الأصول الثلاثية في المعجم العربي وكذلك وجد أصولاً لغوية أولى كثيرة ترد في المعجم السرياني دون مشتقاتها[٣]، وهذا يدل على حاجة السريانية إلى مثيلاتها من اللغات السامية لردم هذه الهوة اللغوية في كيانها اللغوي ولعلّ المنجد لهم في هذا العمل هو المعجم العربي الغني بمفرداته وأصوله اللغوية.

إنّ هذا الغنى اللغوي بالمفردات في العربية إنّما مرجعه إلى قابليتها على احتواء هذا الكم الهائل من المفردات قال نولدكه: (حقاً لقد احتفظت العربية أكثر من أخواتها بكثير

(١) وقائع ندوة (الوشائج بين السريانية والعربية): ١٦.

(٢) كتاب اللمعة الشهية في نحو السريانية، يوسف داوود: ٨.

(٣) ظ: وقائع ندوة (الوشائج بين السريانية والعربية): ١٢.

من الصور الصادقة لعناصر اللغة الأولى)[1] والى قربها من اللغة السامية الأم قال حاييم رابين: (إنّ متحدثي السامية الأولى عاشوا في الجزيرة العربية واعتقد أنّ اللغة العربية الكلاسيكية كما نلاحظها في نصوص تعود إلى القرن السادس والسابع بعد الميلاد كانت عملياً متطابقة مع السامية الأولى)[2].

لذا فلا يمكن القول إنّ العربية كانت مفتقرة إلى اللغات الأخرى وخاصة في لغة القرآن بل كانت باقي اللغات هي التي تفتقر إلى العربية القريبة من اللغة السامية الأم لذا دعا بنيامين حداد في فكرة المعجم الأصولي الموحَّد للغات السامية في العراق إلى ضرورة الرجوع إلى اللغات السامية بمجموعها لأجل سدّ الثغرات والنواقص فيها من خلال أخواتها فيقول: (إنّي على يقين أنَّ مثل هذا المصنَّف اللغوي الأصولي التاريخي الشامل والمقارن سيساعد كثيراً على اكتشاف الثغرات وتشخيص النواقص اللغوية في جسم هذا المعجم أو ذاك من معاجم لغاتنا المختلفة وسيعمل على سدّ أو ملء تلك الثغرات وتلافي تلك النواقص اللغوية بالمادة المفقودة أو المماتة أو من الأصول اللغوية)[3] أي أنَّ اللغات السامية كل واحدة منها تسدُّ ثغرات اللغة الأخرى لأنّها تصدر عن منبع واحد وهو اللغة السامية الأم ولعلّ العربية هي أقربها إلى ذلك المنبع الثر يقول نولدكه في لغة العرب: (أنّ لغتهم الأقرب دائماً من اللغات الأخرى إلى السامية الأم)[4] فهي أكثر احتفاظاً من غيرها بقواعدها وأصولها لذا كان يرى أنَّ: (مقارنة قواعد اللغات السامية يجب أن تبدأ حقاً من العربية على أن يراعي في التفاصيل كل القريبات الأخريات)[5] بمعنى أنَّ العربية هي المصدر المعين للعثور غالباً على ما فقدته اللغات السامية الأخرى

(١) اللغات السامية، نولدكه: ١٤.

(٢) مختصر تاريخ اللغة العربية، حاييم رابين: ٢٣.

(٣) وقائع ندوة (الوشائج بين السريانية والعربية): ٧.

(٤) اللغات السامية، نولدكه: ٢٤.

(٥) م.ن: ١٥.

من مفردات أو أصول بمفرداتٍ أخرى ويقول أيضاً: (توجد في كل لغة أو في كل مجموعة من اللغات السامية بعض الألفاظ التي لا توجد في غيرها من اللغات السامية الأخرى ومن المؤكد أنّ كثيراً من هذه الألفاظ سامٍ قديم غير أنّه لم يُستعمل – بطريقة الصدفة – في قسم من أقسام اللغات السامية أو أنّه كان مستعملاً ولكنه لم يصل مع ذلك إلى علمنا)[1].

إذن نستنتج ممّا تقدّم خطأ وخطل ما ذهب إليه كرستوفر لوكسمبرغ في قراءته لسورة النجم في أنها ذات أصول سريانية – آرامية وذلك لأنّ العربية – بحسب ما تقدّم – هي الخزين اللغوي الذي أودعته اللغة السامية الأم فيها بل هي المعين الذي تنهل منه باقي اللغات التي حوت على جذور لا أصول لها وعلى أصول لا فروع فيها وهذا ممّا يلفت النظر إلى أنَّ مثل هذه اللغات لا يمكن الاستعانة بها في بناء نص عظيم بعظمة القرآن الكريم الذي فيه من القابلية من تجاوز العصر أو الزمن الذي جاء فيه لأنّ الاستعانة بها تعني نسبة النقص إليه والعيب فيه وهذا ممّا يدعو الذين نزل فيهم من قريش – وهم أهل الفصاحة والبلاغة – أن يكشفوا مثل هذه النواقص أو العيوب فيديروا عنهم ظهورهم في حين كان القرآن الكريم محل انبهار وتعجب منهم[2].

إذن لم يكن لوكسمبرغ موفقاً في قراءته لسورة النجم وذلك لقصور الأداة في البحث رغم اتّباع منهج فيلولوجي تحليلي لآيات السورة المباركة ولكن لابد من المرور على ما جاء في قراءته.

## تهافت قراءة لوكسمبرغ لسورة النجم

قرأ لوكسمبرغ سورة النجم على أساس المنهج الفيلولوجي رغبة منه في فهم لغتها

(١) اللغات السامية، نولدكه: ١٢.

(٢) ظ: دلائل الإعجاز، عبدالقادر الجرجاني: ٣٨٨.

من خلال مقارنة الألفاظ وجمل السورة مع ما كان عليه من اللغة السريانية التي كانت – بزعمه – لغة الثقافة والأدب آنذاك أي قبل نزول القرآن على صدر النبي صلى الله عليه وآله فهو ينطلق من مقولة المستشرقين على أنّ القرآن الكريم بشري وأنّه من وضع النبي محمد صلى الله عليه وآله وأنَّ الرسول صلى الله عليه وآله قد تأثر في لغته بما يُحيط به من ثقافة وكان للسريانية أثرها الكبير – كما يرى – على مجمل المشهد الثقافي العربي آنذاك غير أنّ ذلك لا يتفق مع ما عليه الفكر الإسلامي في كون القرآن الكريم نصّاً إلهياً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

مع كل ما تقدّم سنسير على ما سار عليه لوكسمبرغ في قراءته لسورة النجم المباركة ولنناقش ما جاء في هذه القراءة.

يرى لوكسمبرغ أنّ اللغة السريانية تحتل مكانة رئيسة في مجمل المفردات القرآنية الأجنبية التي يحويها لذلك يجد أنّها من دون أدنى شك تمثل المنبع الغزير الذي نهل منه القرآن الكريم؛ لأنه يرى السريانية آنذاك لغة الثقافة والأدب لذلك أثرت في رفده في كلماتها ومعانيها[1] لكن في ما تقدم قبل قليل أثبتنا فقر السريانية وغيرها من الساميات إلى اللغة العربية وعدم حاجة العربية إليها فضلاً عن أنفة العربي من قبول لغة الأعاجم لأنها تفقده البلاغة في الكلام وتحط من قيمته الاجتماعية عند أبناء قبيلته فكانت تعافها نفسه لشدة تعلقه بعربيته.

لكنه يذهب مذهباً آخرٌ حين نسب لغة القرآن إلى غير لغة عصرها فيقول: (حتى لغة القرآن فهي ليست مطابقة للغةٍ عربيةٍ قديمةٍ مختلفةٍ أو للغة الشعر الجاهلي المزعوم ولا حتى للغة العربية المسماة لغة كلاسيكية بُنيت على قواعد نحوية ما بعد قرآنية صنعها الفارسي سيبويه (ت ١٨٠هـ – ٧٩٦م))[2] غير أنيّ أجد في هذا الكلام تناقضاً فهو قبل

(١) ظ: سورة النجم قراءة سريانية آرامية: (المقدمة) – الحوار المتمدن.

(٢) ظ: م. ن.

قليل نسب القرآن الكريم إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله الذي عاش في الجاهلية وصدر الإسلام وكانت ثقافته من وحي عصره؛ لذا كان الصحيح أن لا يعترض على لغة القرآن وفق مفهومه لأنّ القرآن الكريم - بحسب زعمه - من تأليف النبي محمد صلى الله عليه وآله لكنه نسي ذلك.

نعم القرآن الكريم خالف كثيراً من القيم اللغوية للعصر الجاهلي من خلال نظمه وتأليفه وسبك جمله حتى تفرّد عن غيره من شعر ونثر سابق عليه أو ما جاء من بعده حتى قال فيه د. طه حسين أنّه نسيج وحده حين قسم الكلام العربي شعراً ونثراً وقرآناً تمييزاً له من غيره من الكلام العربي إذ كان يقول: (عندي أنَ القرآن طراز فريد من كلام العرب يختلف عمّا عهده العرب من طرق وأساليب القول فهو ليس بالنثر ولا الشعر ولا الخطابة)[1] فأعجز العرب عن أن يأتوا بمثله قال تعالى ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[2] إذن كانت لغته مفارقة للغة الأعراب وإن استعمل الكلمات والألفاظ نفسها لكنه انفرد عنها بحسن النظم والسبك وصحة الاستدلال على المعنى المطلوب وغيرها من الصفات التي أعجزت العربَ عن أنّ يأتوا بمثله يقول د. طه حسين أنه: (كان جديداً في أسلوبه جديداً في ما يدعو إليه جديداً في ما شرّع للناس من دين وقانون)[3].

وعوداً على بدء نجد أنّ لوكسمبرغ قد أخطأ كثيراً في تحليل آيات سورة النجم تحليلاً فيلولوجياً وذلك أنّه لم يسلك سلوكاً علمياً في فهمها بل حاول أن يحرف النصّ المبارك ويصحح ما وقع فيه من أخطاء - بحسب زعمه - لأجل أن تتفق هذه التصحيحات المزعومة في النصّ مع منهجه الفيلولوجي.

(١) حديث الأربعاء، د. طه حسين.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

(٣) في الشعر الجاهلي، د. طه حسين: ٢١٦-٢١٧.

لقد اتبع لوكسمبرغ طريقة في قراءة سورة النجم تستند على أُسس وفرها لتمزيق النصّ المبارك بحجة أنه أراد أنّ يرمّم هذا النصّ وذلك بناءً على مرجعيات لغوية معينة وهذا الترميم يتبعه إعادة النظر في التفسير التقليدي الذي كان يراه مغلوطاً في بُعْديه اللغوي والتأريخي[١].

أما أبعاد طريقته في هذه القراءة فتتضمّن ما يأتي:

أولاً: تخطئة النصّ المبارك في قسم من آيات سورة النجم فهو يقول بصراحة إنّ هذا التركيب خطأ أو تلك الحركة غير صحيحة وغيرها من صيغه التي تدل على أن ذلك النصّ الذي يدرسهُ خطأً وربما يبيِّن السبب وفي أخرى يتركه هملاً وقد تبلور اتجاه التخطئة عنده بما يأتي:

تقطيع النصّ القرآني أو تمزيقه إذ أنّه لم يَعِرْ أي اهتمام إلى أصالة النصّ وتركيبه الذي مرَّ عليه أكثر من ألف وأربعمائة عام منذ نزوله على صدر الرسول صلى الله عليه وآله فهذه المدة كافية لأن تُثبت صحته وعدم تحريفه غير أنّه كان يرى عكس ذلك في بعض تراكيب السورة فمن ذلك ما جاء في قوله سبحانه: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾[٢] إذ يرى في هذه الآية بعضاً من انكسار إذ يقول: (فوحدة الجملة التي انكسرت بفعل إدخال الفاصلة الخاطئة بعد كلمة (هوى) لم يهتدِ إليها المفسرون والمترجمون – في الحقيقة – تحتوي الآيتان الافتتاحيتان على جملة مركبة من شرط (الآية١) وجواب الشرط (الآية٢))[٣] ثم يعلّل هذا الانكسار في وحدة الجملة ويُبين تركيبها النحوي والجملي الذي يجب أن تكون عليه هذه الآية – بحسب زعمه – فيقول: (فأنّ هذا التركيب النحوي يكون على النحو الآتي:

(١) ظ: سورة النجم قراءة سريانية – آرامية جديدة (١).

(٢) سورة النجم، الآية: ١.

(٣) سورة النجم: قراءة سريانية – آرامية جديدة (١).

١ – الكلمة الأولى (والنجم) ليست بفاعل في الآية(١) بل هي قَسَم لا دور آخر له سوى تقديم الجملة التي لاحقاً وبناءً على هذا فأنّ الجملة (الآية) كلها تكون (والنجم) وليس ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾[١] ومن ثم يبحث عن فعل الشرط الجديد هذا فيتوصل إلى أنه من الواجب (أنّ نفهم الجملة على النحو التالي: (إذا هو – صاحبكم – هوى)[٢] ومن ثم ينتهي إلى أنّ جواب القسم لـ (والنجم) يكون في قوله (ما ضل وما غوى))[٣].

فلوكسمبرغ هنا قد فكّك هذا النصّ بما لا حقَّ له أن يعمل هكذا إذ ليس من المعقول أن يتلاعب به على هواه فهذا ليس من المنهج العلمي الصحيح غير أنّه من خلال هذا التمزيق للنّص حاول أن يحصل على معنى هو طالبه لا النصّ الأصلي فقوله (والنجم) هنا يكون قد أقسم بالنجم ذاته في حين أنّ الله سبحانه في قوله سبحانه ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ قد أقسم بظاهرة فلكية عظيمة تتكرر كلّ يوم وهي حالة ذلك النجم حين سقوطه عند الغروب وما يصاحبه من تداعيات كبرى في النظام الكوني وليوجه اللهُ أنظارَ الناس إلى عظيم قدرته وسعة تدبيره من خلال القسم بهذه السورة الكونية الكبرى فهذا يكون أبلغ من القسم بالنجم لوحده.

إذن لاحِظِ الفارق بين القَسَمين فيكون لوكسمبرغ من خلال تحليله اللغوي قد أفقد النصّ بريقه الدلالي إذ المعروف أنَّ – إذا الشرطية – قد تخرج عن شرطيتها لضرورة دلالية يُريدها النصّ إلى الحال[٤] كما في قوله سبحانه ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ أي يقسم بالنجم في حال نزوله أو غروبه ومثله وقع هذا القسم في قوله سبحانه ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾[٥] فهنا النصّ القرآني كان في قصدية كبيرة عندما ضحى

(١) سورة النجم: قراءة سريانية – آرامية جديدة (١).
(٢) م.ن.
(٣) م.ن.
(٤) ظ: مغني اللبيب، ابن هشام: ١. معاني النحو – دكتور فاضل السامرائي: ٢/ ١٧٨.
(٥) سورة الليل، الآيتان: ١–٢.

بعمل (إذا) الدال على الشرط لدلالة أعظم منه وهنا تتجلى عظمة هذا الكتاب العظيم في حين كانت الصيغة التي افتعلها لوكسمبرغ صيغة هشّة وغير متماسكة نصياً ودلالياً ولعلّه كان قاصداً لذلك أو لجهله بقواعد لغة العرب.

ومن هذه الحالات في تقطيع النصّ تجدها متناثرة هنا وهناك في مجمل تحليله الفيلولوجي وإن كان في هذه الآية المباركة قد سلك سلوكاً نحوياً لا فيلولوجياً.

فضلاً عن كلّ ذلك أن اختيار لفظة (النجم) لم يكن اختياراً اعتباطياً وذلك أن العرب كانت ممّن تهتم بالنجم وتقدمه لما له من أهمية في حياتهم وفي مسيرهم الليلي وكذلك في عباداتهم وكثيراً من آلهتهم كانت أُسسها مبنية على هذه الكواكب فقد كانت كنانة تعبد آلهة القمر المتجسد بالهلال والقمر وكرموا كوكب (المشتري) وعبدت قبيلة طي كوكب (سُهيل) وعبدت بنو أسد كوكب (عطارد) وغيرها من الكواكب والنجوم الأُخر[1] لذا كان القسم به فضلًا عن وصف حاله قد أكسبه عظمةً وهيبةً على غير ما كانت تتصوره عنه العرب آنذاك.

تغيير شكل اللفظة أو الصيغة في الآية القرآنية ومثالها ما جاء في قوله سبحانه ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾[2] إذ يرى لوكسمبرغ (أنّ القراءة التقليدية (قوسين) هي قراءة خاطئة ولا علاقة لها بقوس واحد ولا بقوسين اثنين فالكلمة ليست عربية إذ يجب إزالة النقطتين عن القاف وتعويضها بنقطة واحدة للحصول على الحرف السرياني (ف) أو (ب) = (p) ثم يجب إضافة ثلاث نقاط إلى السين للحصول على شين وهذا يقود إلى قراءة سريانية بصيغة التثنية العربية بوْشَيْن/ فوْشَيْن الذي يعني حسب معجم (منّا) تحت مادة (بوشا) (وقفة استراحة انقطاع) وبالتالي فأن الكلمة يصبح لها معنى (وقفتين) = لحظتين من الزمن)[3].

(١) ظ: الألوهية والقبائل، نجمة سيوطيّ: ٦٥-٦٦.

(٢) سورة النجم، الآية: ٨.

(٣) سورة النجم، قراءة سريانية – آرامية: ٣.

من خلال هذا العرض لتحول اللفظة (قوسين) صوتياً ومن ثم دلالياً - كما يراه لوكسمبرغ - أجد فيه تجنياً عليها فهي رحلة في فضاء غائم وملبد بالعثرات التي لا يمكن أن تفصح فيها هذا التقلبات عن صحة دلالية في حين أنّ المعنى العربي معنى واضح لا لبس فيه ولا غموض كالذي نلحظه في الكلمة المستعارة (فوشين) عن العربية الأصيلة (قوسين) التي تدل على القرب ومثل هذه الصيغة مستعملة عند العرب قديماً وحديثاً كمن يقول أحدنا: أنا عنك مسافة خطوتين أي قريب جداً إليك قال عبدالله بن هبيرة[1]:

فـأدرك إبقـاءَ العـراوة ضلعهـا وقـد جعلتنـي مـن خزيمـة أصبُعا

ومعنى (جعلتني أصبُعا) أي جعلتني على مسافة أصبع منك للدلالة على القرب.

أما القوس في قوله تعالى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[2] هي ذراعٌ تقاس به الأطوال وليست بالقوس المعروفة[3] فهي أيضاً دالةً على القرب أي كان النبي محمد صلى الله عليه وآله على مسافة قريبة من المَلَك جبرائيل عليه السلام وهذا المعنى يختلف كلياً عن المعنى الذي ساقه لوكسمبرغ فعدد الوقفات أو اللحظات الزمانية دالة على زمن وقوف النبي صلى الله عليه وآله مع جبرائيل في حين أنّ سياق النصّ المبارك كان يوجّه إلى المكان وهو أليق للدلالة على المسافة من غيرها.

وربما الذي يجمع اللفظة (قوسين) مع النظير السرياني (فوشين) الشكل أو الصورة اللفظية وأما صفات الأصوات فنجد هناك تباعداً بين القاف اللهوية في (قوسين) التي تقترب من الحلق والفاء في (فوشين) الشفوية وأن عملية القلب أو الإبدال بين الأصوات غالباً ما تكون بين الأصوات المتقاربة وليس المتباعدة وهذا مما يدلّ على

(١) ظ: الكشاف، الزمخشري: ٤/ ٤٢١.

(٢) سورة النجم، الآية: ٨.

(٣) الطراز الأول، ابن معصوم المدني: مادة (قوس).

وجود إقحام لا مسوِّغ له.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[1] إذ يقول لوكسمبرغ: (إن الفعل (كَذَبَ) وحسب الشرح الذي نقدّمه لاحقاً أن يُقْرأ (كَذَّبَ) أما بخصوص القراءة التقليدية للفظة (الفُؤاد) التي أقحم النساخ العرب المتأصرون الهمزة فهي تُلمِّح إلى معنى (قَلْب) حسب المفهوم العربي للكلمة ولكن هذه القراءة قراءة خاطئة فبدون الهمزة يُقرأ الحرف القرآني (فواد) يعطي (منّا) في معجمه المعنى لجذر الفعل السرياني (باد / فاد) كالآتي (زاغ ضلَّ سها ذهل))[2] فهو هنا لم يعطِنا دليلًا على إقحام الهمزة على فؤاد من قبل النساخ ولم يُشِر إلى من أسقط التضعيف من (كذّب) لكنه من خلال هذا التحريف في اللفظين إنما أراد أن يوميء إلى فعل الذهول المرتبط بمركزية لفظ (هوى) التي أشار إليها من قبل ليعزز دلالة جواب الشرط في ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾[3] بجملة فعل الشرط (إذا هوى).

لكن هذه الطريقة في تحليل النصّوص تشير إلى عدم قدرة النصّ الجديد على الإيحاء بالمعنى من أول بروزه وظهوره فهو يحتاج إلى أدوات قد تكون بعيدة عن ظاهر معناه فحوّر بالنصّوص الأخرى كي تتفق مع ما يراه مسبقاً أي أنه حاول بكل وسائله المغلوطة أن يلوي النصّ إلى ما يراه هو.

وهنا أؤكّد أن هذا المستشرق كان يرى معاني ودلالاتٍ مسبقة فأخذ يحرّف بكلمة أو صيغة أو يقطع نصّاً أو يمزقه كي يتفق مع رؤيته هو لا كما يُريده النصّ أو يقوله وهذا منهج سقيم ومغلوط في البحث ولم تكن له صله بقواعد البحث العلمي الصحيح.

وهناك أمثلة أخرى ساقها في ضمن هذا المضمار منها ما كان يراه في قوله سبحانه:

(١) سورة النجم، الآية: ١١.

(٢) سورة النجم، قراءة سريانية – آرامية جديدة: ٣.

(٣) سورة النجم، الآية: ٢.

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾[1] إذ كان يرى أنها يجب أن تكون (إذ تغشى السدرة ما تغشى)[2] بقلب ياء (يغشى) تاءً وغيرها من هذا النحو.

ثانياً: حَرْف دلالة الألفاظ عن أصل معناها وانحيازها إلى معانٍ أخرى لا يريدها النصّ أو السياق الذي ترد فيه لفظة ما ويكون ذلك اعتماداً منه على دلالات جذور سريانية التي يزعم أنها قريبة الدلالة لها وتمثل هذا الاتجاه في التخطئة بما يأتي:

إيجاد رديف سرياني للمفردة العربية – القرآنية فهو من خلال هذه الطريقة يعمل على تلبيس اللفظة العربية معنىً آخر غير معناها السياقي أو معنى الأصل المتبادر إلى ذهن المتلقي فمن ذلك قوله سبحانه: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[3] فقد انتهى أغلب المفسرين إلى أنها شجرة كبيرة ورُبما تعبِّر عن غابة من الأشجار تمثّل منتهى الجنة[4] وهي حاجز يحجز ما قبلها عمّا بعدها ويمكن أن يُستَظَلَ بها لغنائها في الاستظلال أو هو مكان اختص النبي صلى الله عليه وآله به للإفاضة الإلهية[5] في حين يرى لكسمبرغ خلاف ذلك فهو يقول: (في الواقع أنّ (سدرة) لا تعني لا شجر نبق ولا أية شجرة سحرية أخرى فهذه الكلمة سريانية تعني بكل بساطة وحسب معجم منّا في مادة (سدرا) حجاب)[6] وينتهي في ترجمتها بقوله (عند سدرة المنتهى عند حجابٍ ستار العالم الآخر)[7] لكن كان من الأجدر به أن يرجع أولاً إلى المعجم العربي ثم يقارنها بالمعجم السرياني وقد نجد في بعض الأحيان توافقاً أو تقارباً في دلالة بعض الألفاظ إذ إنّ كلتا اللغتين تصدر

(١) سورة النجم، الآية: ١٦.
(٢) سورة النجم، قراءة سريانية – آرامية جديدة (٣).
(٣) سورة النجم، الآية: ١٤.
(٤) ظ: المفردات، الراغب الأصفهاني: ٤٠٣. الكشاف، الزمخشري: ٤/ ٤٢٢.
(٥) ظ: م.ن: ٤٠٣.
(٦) سورة النجم، قراءة سريانية – آرامية جديدة (٤).
(٧) م.ن.

عن منبع واحد فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾[1] إذ توافق المعنيان في العربية والسريانية يقول الزمخشري عن معنى (جنة المأوى) أنها: (الجنة التي يصير إليها المتقون)[2] جزاءً لهم على إحسانهم ويقترب لوكسمبرغ من هذا المعنى فيعدّها مساكن الخلد أو مساكن العلى السماوية أو هي حديقة المسكن السماوي[3].

ومما ينسبه من أخطاء إلى النصّ القرآني أيضاً ما جاء في قوله سبحانه: ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾[4] قد جعل للفظة (استوى) رديفاً سريانياً هو الجذر (ش/ وا) التي يُشتق منها في اللغة السريانية لفظة (اشتوى) ذات المعنى المجازي (تواضع وتلطَّف) ويرى أن هذا المعنى هو الأكثر توافقاً مع الآية المباركة[5] في حين كان المعنى في التراث العربي – الإسلامي أن استوى بمعنى اعتدل واستقام إشارة إلى رؤية الملك جبرائيل حين رآه على صورة نفسه الحقيقية لا كما كان يراه من قبل على صورة دحية الكلبي[6] فهنا فرّق بين الاعتدال العربي والتواضع أو التلطّف السرياني للجذر (سوى).

وهكذا يمكن أن نرى من هذه الألفاظ التي حاول لوكسمبرغ أن يحرف معنى المفردات العربية في هذه السورة المباركة من خلال إيجاد الرديف السرياني ثم يقحم دلالته ويلبسها للفظ العربي وهذا منهج غير صحيح في البحث العلمي.

إهماله للسياق وما يوحيه من دلالات في النصّ إذ لم أجد له من أثر في دراسة لكسمبرغ في إيجاد معاني المفردات أو توجيهها ولعلّ ذلك مرجعه عنده إلى أنّ السياق رُبما يحلّق باللفظة إلى معانٍ أخرى لا يمكن أن يجدها في معجم (منّا) الذي اعتمد عليه

(١) سورة النجم، الآية: ١٥.
(٢) الكشاف، الزمخشري: ٤/ ٤٢٢.
(٣) سورة النجم، قراءة سريانية – آرامية جديدة (٤).
(٤) سورة النجم، الآية: ٦.
(٥) ظ: سورة النجم، قراءة سريانية – آرامية جديدة (٢).
(٦) ظ: المفردات، الراغب الأصفهاني: ٤٣٩. الكشاف، الزمخشري: ٤/ ٤١٩.

في إرداف ألفاظه بالمعاني التي توفرها له السريانية إذ إنّ الدلالة المعجمية غالباً ما تكون دلالة ظاهرية أو أولية والسياق رُبما يتجاوزه فهنا يقع في حيرة إيجاد الدلالة التي تتوافق مع ما يريد إذ نجد في السياق من المعاني المجازية ما تتجاوز معاني أصل المفردة في اللغة فكيف ستكون في اللغة السريانية وهذا يعني أنّ دلالة السياق ربما ترهق هذا الكاتب أو تبعده عما يُريد من دلالات قد افترضها من قبل لذا أهمله.

إذن من خلال ما تقدم نرى أنه من غير الجائز عند دراسة نصٍّ عظيم كالقرآن الكريم الذي هو مادة للمعرفة أن يُنسب الخطأ إلى ذلك النصّ وخاصة أنّ هذا الكتاب قد تعاهده الله سبحانه والمسلمون بالحفظ منذ نزوله.

إنّ دراسة نصّ معيّن وفقًا لمنهجٍ فيلولوجي يُلاحظ فيه تطور معنى اللفظة ودلالتها عبر عصور حياتها لا أن تنسب الخطأ لذلك اللفظ وهو موضوع ومُؤلَّف في غير زمان النقد والدراسة فضلاً عن ذلك أن متكلم اللغة لا يُخطَّأ في لغته فهو الذي وضع قواعدها وأُسسها وجعل مبانيها الدلالية متوافقة مع قواعدها النحوية فالمعنى الذي يُنتج من النصّ إنما هو وليد هذه التراكيب والصيغ وتخطئة هذه القواعد أو الألفاظ وتغيرها بما ينسجم مع منهج الدارس أو الباحث لا تعني صحة ما يذهب إليه ذلك الباحث بل هو إشارة إلى فشل المنهج الذي يدرس النصّ إذ على الباحث أن يقرأ النصّ وفقًا لقواعده ومبانيه اللغوية والنحوية والصرفية.

إنّ الذي أراه في قراءة لوكسمبرغ إنّه قد حضَّر نتائج قراءته ودراسته لآيات سورة النجم مسبقاً ثم أراد أن يسقطها على النصّ المبارك ولكن عندما رأى أنّ منهجه قد عجز عن إدراك المعنى الذي هو يريده عكف على تغيير شكل لفظة هنا وحركة هناك أو فصل جزء من آية عن باقي نسيج الآية نفسها كي يستقيم النصّ بما هو يريده أو يراه لا كما نزل أو ما كان هو موجوداً في أصل وجوده.

هذا السلوك في البحث والدراسة يُعد سلوكاً قاصراً بل منحرفاً وهو يومئ إلى

خطل الفكر أو الرأي الذي تنصل مسبقاً عن إرادة الحقيقة التي يتوخاها النصّ المبارك لذا عمد إلى نسبة الخطأ إلى النصّ ذاته.

وقد أخطأ لوكسمبرغ مرة أخرى عندما قرأ النصّ القرآني المبارك بغير لغته التي نزل بها وبغير قواعده وتراكيبه التي بُني عليها واختار لغةً – كما أوضحنا من قبل – فيها من القصور الدلالي والنحوي ما تعجز فيه عن إدراك ما يصبو إليه النصّ إذ إنّ في العربية التي نزل فيها القرآن الكريم من السمو والاتساع والضبط ما لم يكن في اللغة السريانية – الآرامية التي قرأ بها لوكسمبرغ القرآن العظيم فالنصّ المبارك هو أكبر وأسمى من أن يُقرأ بلغة أقل من لغته أصولاً ودلالة وتركيباً فأصول اللغة السريانية لا تعدو أن تكون ربع الأصول اللغوية العربية[1] فضلًا عن ضَعْف قواعدها النحوية وعدم استطاعتها مجاراة القواعد النحوية العربية التي تتعلق فيها دلالة النصّ عموماً والمفردة خاصة.

إذن ندرك من هذه القراءة أنّها قراءة قاصرة وغير قادرة على استيحاء الدلالات التي تكتنفها الألفاظ والآيات القرآنية فضلاً عن ذلك نرى أنّ قراءته كمن يدرس أو يقرأ العام بالخاص أو أن يقرأ الكلي بالجزئي وهذا منهج قاصر لا يمكن أن يقف على كلّ دلالات النصّ المقروء لأنّ أصل القراءة كانت ناقصة لا قراءة كاملة ومستوعبة له إذ كيف يَلِجُ الجمل في سَمِّ الخياط فتلك استحالة.

(١) ظ: وقائع ندوة (الوشائج بين السريانية والعربية): ٧-٨.

## المصادر

١. الإحكام في أصول الأحكام/ أبو محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري/ حققه وراجعه: لجنة من العلماء/ طبع ونشر: دار الجيل لسنة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م/ الطبعة الثانية/ بيروت، لبنان.

٢. أسباب النزول/ علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨هـ)/ طبع ونشر: دار ومكتبة الهلال لسنة ١٩٨٥م/ بيروت، لبنان.

٣. الأسطورة المسيحية للراهب بحيرا في النصّوص العربية والسريانية – دراسة أقدم مخطوطة عن الراهب بحيرا/ دراسة وتحقيق: وليد البعاج/ ومضات للترجمة والنشر – بغداد العراق – بيروت لبنان – الطبعة الأولى – ٢٠٢٠م.

٤. الإلوهية والقبائل – دراسة في الأدب الديني عند العرب قبل الإسلام/ نجمة سيوطي/ ترجمة عن الانكليزية: هشام شامية – المركز الأكاديمي للأبحاث – العراق – تورنتو – كندا – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ٢٠٢٠م.

٥. تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)/ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤–٣١٠هـ)/ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم/ طبع ونشر: دار المعارف/ الطبعة الرابعة/ القاهرة، مصر.

٦. تاريخ الشعوب الإسلامية/ كارل بروكلمان/ نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي/ طبع ونشر: دار العلم للملايين، تموز ١٩٦٨م/ الطبعة الخامسة، بيروت، لبنان.

٧. تاريخ اليعقوبي/ أحمد بن إسحاق بن وهب ابن واضح اليعقوبي البغدادي (ت٢٩٢هـ)/ علق عليه ووضع حواشيه: خليل المنصور/ نشر: مؤسسة العطار الثقافية/ طبع: دار

الزهراء لسنة ١٤٢٩هـ/ الطبعة الأولى، إيران.
٨. تأصيل الجذور السامية وأثره في بناء معجم عربي حديث/ تأليف د. حسام قدّوري عبد/ طبع ونشر: دار الكتب العلمية لسنة ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م/ الطبعة الأولى/ بيروت، لبنان.
٩. التحرير والتنوير/ محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)/ طبع ونشر: الدار التونسية للنشر لسنة ١٩٨٤م/ تونس.
١٠. التسهيل لعلوم التنزيل/ أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت٧٤١ هـ)/ تحقيق: د. عبد الله الخالدي/ طبع ونشر: شركة الأرقم بن أبي الأرقم لسنة ١٤١٦هـ/ الطبعة الأولى/ بيروت، لبنان.
١١. تفسير القرآن العظيم/ الإمام الجليل الحافظ عماد الدين، أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى سنة ٧٧٤هـ)/ طبع ونشر: دار المعرفة للطباعة والنشر لسنة ١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م/ بيروت، لبنان.
١٢. حياة محمد/ محمد حسين هيكل/ طبع ونشر: دار المعارف كورنيش النيل/ الطبعة الرابعة عشر/ القاهرة، مصر.
١٣. تفسير القرآن العظيم/ الإمام الجليل الحافظ عماد الدين، أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى سنة ٧٧٤هـ)/ طبع ونشر: دار المعرفة للطباعة والنشر لسنة ١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م/ بيروت، لبنان.
١٤. الدر الفريد
١٥. دلائل الإعجاز/ تأليف: الشيخ الإمام عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (المتوفى سنة ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ)/ قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر/ طبع ونشر مكتبة الخانجي، الشركة الدولية للطباعة لسنة ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م/ الطبعة الخامسة/ القاهرة، مصر.
١٦. سورة النجم قراءة سريانية – آرامية جديدة/ موقع الحوار المتقدم:
http://www.alhewar.org
١٧. السيرة النبوية/ ابن هشام/ تحقيق: عبد الرؤوف سعد/ طبع ونشر: دار الجيل لسنة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م/ بيروت، لبنان.

١٨. الشعر والشعراء/ إبن قتيبة/ تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر/ طبع ونشر: دار المعارف/ القاهرة.
١٩. الطراز الأول والكناز لما عليه لغة العرب المعوّل/ للإمام اللغوي الأديب السيد علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسيني المعروف بابن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ)/ تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/ نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/ طبع: مطبعة ستارة، ربيع الأوّل ١٤٢٧هـ/ الطبعة الأولى/ قم المقدسة، إيران.
٢٠. فقه اللغات السامية – نولدكه.
٢١. فقه اللغات السامية/ كارل بروكلمان/ ترجمة عن الألمانية: الدكتور رمضان عبد التواب – طبع ونشر: مطبوعات جامعة الرياض لسنة ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م/ الرياض، السعودية.
٢٢. في الشعر الجاهلي/ د. طه حسين/ تقديم ودراسة وتحليل: سامح كُريِّم/ طبع ونشر: الدار المصرية اللبنانية، رمضان ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م/ الطبعة الأولى.
٢٣. القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم/ أد. خالد إسماعيل علي/ طبع سنة ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
٢٤. القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث/ د. مي فاضل الجبوري/ نشر: وزارة الثقافة والإعلام لسنة ٢٠٠٠م/ طبع: دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد/ العراق.
٢٥. الكامل في اللغة والأدب/ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد/ طبعة: طبع ونشر: البابي الحلبي لسنة ١٣٥٦هـ، ١٩٣٧م/ مصر.
٢٦. كتاب الأصنام/ إبن الكلبي/ تحقيق: أحمد زكي باشا.
٢٧. كتاب اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية/ المطران إقليمس يوسف داود/ طبع دير الآباء الدوسكيين لسنة ١٨٧٩م/ الموصل، العراق.
٢٨. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)/ طبع ونشر: دار إحياء الكتاب العربي لسنة ١٤٠٧هـ/ الطبعة الثالثة.
٢٩. لباب الآداب/ أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي/ تحقيق: أحمد حسن لبج/ طبع ونشر: دار الكتب العلمية لسنة ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م/ الطبعة الأولى/ بيروت، لبنان.

٣٠. لسان العرب/ الإمام العلامة ابن منظور (٦٣٠هـ/ ٧١١هـ)/ نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه: مكتب تحقيق التراث، دار احياء التراث العربي/ طبع ونشر: مؤسسة التاريخ العربي لسنة ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م/ الطبعة الثانية/ بيروت، لبنان.
٣١. اللغات السامية/ تيودور نولدكه/ ترجمة عن الألمانية: الدكتور رمضان عبد التواب/ مكتبة دار النهضة العربية/ المطبعة الكمالية.
٣٢. مجمع البيان في تفسير القرآن/ الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي/ تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي/ طبع ونشر: دار إحياء التراث العربي لسنة ١٣٧٩هـ/ بيروت، لبنان.
٣٣. محمد في مكة/ و. مونتجمري وات/ ترجمة: عبد الرحمن الشيخ وحسين عيسى/ د. احمد شلبي/ طبع ونشر: الهيئة المصرية للكتاب لسنة ٢٠٠٢م.
٣٤. محمد والقرآن/ رودي باريت/ ترجمة: د. رضوان السيد/ طبع ونشر: مؤسسة شرق غرب للنشر، ديوان المسار للنشر لسنة ٢٠٠٩م/ الطبعة الأولى/ دبي، الإمارات العربية المتحدة.
٣٥. مختصر تاريخ اللغة العبرية/ حاييم رابين/ ترجمة: أ. د. طالب القريشي/ المراجعة العلمية: د.رضا الموسوي/ طبع ونشر: بيت الحكمة لسنة ٢٠١٠هـ/ الطبعة الأولى/ بغداد، العراق.
٣٦. المزهر في علوم اللغة وأنواعها/ العلاّمة السيوطي/ شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي البجاوي/ طبع ونشر: المكتبة العصرية لسنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م/ صيدا، بيروت، لبنان.
٣٧. معاني النحو/ د. فاضل السامرائي: طبع ونشر: دار الفكر لسنة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م/ الطبعة الثانية/ عمّان، الأردن.
٣٨. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب/ ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)/ قدّم له ووضع حواشيه وفهارسه: حسن محمد/ أشرف عليه وراجعه: الدكتور آميل بديع يعقوب/ طبع ونشر: دار الكتب العلمية لسنة ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م/ الطبعة الثانية/ بيروت، لبنان.
٣٩. مفردات ألفاظ القرآن/ العلاّمة الراغب الأصفهاني/ تحقيق: صفوان عدنان داوودي/ طبع ونشر: منشورات ذوي القربى لسنة ١٤٢٥هـ/ الطبعة الرابعة/ قم المقدسة، إيران.

٤٠. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام/ د. جواد علي/ منشورات الشريف الرضي، ساعدت جامعة بغداد على نشره.
٤١. مفهوم الله وأنداده عند العرب قبل الإسلام.
٤٢. الميزان – معجم الأصول اللغوية المقارنة/ سرياني – عربي – بنيامين حداد/ نشر: منشورات المجمع العلمي لسنة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٤م/ طبع: مطبعة المجمع العلمي.
٤٣. نهاية الأرب في فنون العرب/ النويري/ طبع ونشر: مطبعة دار الكتب المصرية لسنة ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م/ القاهرة، مصر.
٤٤. وقائع ندوة (الوشائج بين السريانية والعربية).